الواجبات المقريب

لحضرة الكاتب الجيد لرخ افندي انطون ناظر المدرسة الارثوذكسية بمكفة طرابلس

٤

طال بنا البحث في الامر الاول من الواجبات السلبية فلنعد الى ما بقي منها وهي ان لا يمس الانسان صيت غيره ولا شرفهُ ولا حريتهُ ولا مالهُ . وهي واجبات واضحة لا تحتاج الى اثبات والشريعة البشرية والرأي العام يعاقبان من يخالفها عقابًا شديدًا فنحن اذًا في غنىً عن ايرادها واننا نذكر في ما يلي الاوجه التي لا تعرض لها القوانين الجزائية والتي تلقي عليها الهيئة الاجتماعية ستار التسامح والاغضاء . ونورد منها امثلة

يُنشر زيد كتابًا فلسفيًا يحتمل فيهِ الغموض ويحيلهُ الى القارئ ويسلمهم عليهِ فيبتسم في الحال وجه الشرطي على الباب و يقودهُ الى المحاكمة مع ان كتابهُ الفلسفي لا يطلع عليهِ الا النزر القليل . ولكن لنبسط تلك المبادئ عينها باسلوب خصوصي في سياق رواية تشمل امام الوف والوف من الرجال والنساء والعذارى فلا يعترض احد مؤلف الرواية ويرمي الناس في الملعب كالبناء المرصوص يضحكون و يقهقهون لرجل بسيط تخدعهُ امرأتهُ الشيمة وتتخذ دونهُ عشيقًا وما علموا انهم يضحكون للرذيلة ويحيونها الى زوجاتهم و بناتهم . وترى في الملعب كثيرات من النساء الفاضلات يلذ لهنَّ النظر الى تلك المشاهد معاذ الله انهن لسن على شيء من الفضيلة وما فضيلتهنَّ الا تظاهر ورياء اذ لو كانت حقيقية لقام في النفوس حمية واشمئزاز من منظر الرذيلة وان اولى درجات الرذيلة الارتياح الى منظرها والسرور فيها . والشرقيون قد اخذوا في احياء فن التمثيل بينهم ولا يزالون في اول الطريق فليحذروا من ان يجاروا في رواياتهم مساعًا لتلك السموم القاتلة التي تسمم شرف الامة وآدابها . وليعلم الكتاب منهم انهم يسيئون الى الامة اكبر اساءة اذا اطاعوا شيطان العواطف والشهوات ودسوا تلك السموم في مسرات اخوانهم

ولا نرى اكره الينا من النميمة والنمامين ومع ذلك فاننا كثيرًا ما نسمعهم . نسمع رجلاً يروي عن آداب زيد او عمرو رواية مضرة بصيتهِ وشرفهِ فنصغي اليهِ بشاشة وتلذ لنا حكايتهُ ونعجب بتصرفهِ في الكلام ولا نكتفي بذلك بل نتناقل السخنا تلك الرواية وننقلها الى اصدقائنا وان كان لنا شيء من الادب فيغنانا بهذه العبارة " ليس هذا ما اعتقدهُ ولكن

هذا الذي سمعتهُ من الناس وما انا الاَّ ناقل ما سمعت " . ولاحظوا هذه الغرابة المضحكة ان هؤلاء الذين يثلبون صيت قريبهم هذا الظلم يحسبون انفسهم بلا شرف ولا دين اذا اضاعوا عليهِ درهماً واحداً . افيظنون اذاً ان المال اثمن من صيت الانسان وعرضهِ وشرفهِ . كلاَّ واذا كان الطعن بالكين يدعى قتلاً فيجب ان يسمَّى كذلك الطعن باللسان وربما كان اقطع انواع القتل لانهُ قتل الصيت والشرف وهما اثمن شيء في الانسان . واشد ما في الانسان فتكاً لسان يطلقهُ في اعراض الناس وقد قيل : يُقطَع الشجر بالفؤوس فينبت ويقطع اللحم بالسكاكين فيندمل ولا يندمل ما جرح اللسان . وقال الشاعر

جراحات السنان لها التئامُ ولا يلتام ما جرح اللسانُ

وقد شبه فيلسوف شفة النمام بكاس الحجام الَّتي تمتص الدم الفاسد من الاجسام . فما اصح هذا التشبيه في مَن ينهش باثيابهِ لحم قريبهِ ويمزق ما هو لديهِ اعز واثمن من كنوز سليمان . وحينما يمسك الشعب مجرماً ويريد الفتك بهِ تبادر الحكومة إلى تخليص ذلك التعيس من ايديهم ولا تسمح ان تسقط شعرة من رأسهِ قبل استنطاقهِ ومحاكمتهِ واحضارهِ امام الشهود واقامة وكيل يتولى المحاماة عنهُ . اما الثالبون والثالبات فلا يجشمون من عناء هذا التحقيق شيئاً ولا يكلفهم الحكم على صيت القريب وشرفهِ غير كلمات قليلة يقولونها وهم يضحكون ويمزحون . فيا ناعشي اعراض الناس العابثين بشرفهم وصيتهم ملأ ذكرتم ما قيل عن المرأة الخاطئة : من كان منكم بلا خطيئة فليرمها اولاً بحجر . وانتم من كان منكم بلا عيوب فليطلق لسانهُ في عيوب الناس وزلاَّتهم

ولا شيء اعز على الانسان من حريتهِ . ولا يستطيع الانسان القيام بواجباتهِ ولا يستفيد شيئاً من الملك والمال ان لم يكن حرًّا مستقلاً بامور نفسهِ يروح ويغدو إلى حيث تدفعهُ مصلحتهُ ويربي اولادهُ على الطريقة والديانة الَّتي يراها ويدير اشغالهُ بنفسهِ بلا مداخلة القوة الحاكمة في حريتهِ الاَّ فيما تقتضيهِ الحرية العمومية صارفاً سعيهُ في تدبير منزله واولادهِ كل عناية واهتمام . ومع ذلك فكثيرًا ما يطرأ على هذا الهيكل البيتي المقدس مصائب سياسيَّة تولدها الشهوات السياسيَّة والمصالح الذاتية فتزعزع اساس العائلة وتمس مبدأ استقلالها الطبيعي وحريتها الطبيعية . فما ابعدك عن الكمال ايها الانسان . ألا تزال امس مبادئك المقدسة عرضة لصدمات الجهل حتى في اعظم مراكز العمران

واهم انواع الحرية واكثرها قداسة واجدرها بالاحترام حرية الضمير ومع ذلك فقلما نعبأ بها . فكل ملة تحسب ان الله قد اقامها لهداية الاخرى فتسعى بكل قواها في شد الناس

اليها والضغط على افكارهم زاعمة انها ترضي بذلك الخالق الحكيم وما علمت انها تخالف مشيئتهُ وناموسهُ العظيم الذي خصَّ بهِ الفكر البشري وهو : حرية الضمير . ولو شاء الله لجعل الناس امة واحدة واراح مارتي دي ميديسيس من عناء ذبح سبعين الفاً من النصرانيات في يوم عيد برتولماوس . واذا كان الله قد ترك البشر حرية الاعتقاد أليس من الضحكات انكم انتم لا تتركونها لهم . فاتركوا الى الخالق سبحانهُ محاسبة المخلوق عن اعماله ومعتقداته ولا تحجروا انكم تترضونهُ تعالى بقتل اخوانكم وحرق علمائكم وتكفير اديانكم . وقد جاء في الانجيل انهُ يشرق شمسهُ على الخطاة والصالحين فهل انتم احكم منهُ تعالى لتطلبوا الارواح التي خلقها ومنحها نسيم الصبح ونور السماء . ولا تقولوا ان الزوان ثمن الحنطة فان الله يامرهُ قد امر صريحاً في كتابهِ بان يترك إلى يوم الحصاد . ومع ذلك فاكثر الذي يخلقهُ زواناً هو يا جهلاء قمح ثمين بل هو اثمن قمحكم تقتلونهُ من حقلكم جهلاً وحسداً . افما يكفيكم تحسبون انكم تنقون الزوان ايضاً لما ابعدتم دياكارت وسجنتم غاليلو واحرقتم بروتو

وما انفرد الدين في الضغط على حرية الضمير فقد اتى على الفلسفة يزمان انتقمت فيهِ لنفسها من الاكليروس والدين انتقاماً فظيعاً فهدمت الكنائس وذبحت الاساقفة والرهبان وقتلت كل من ذكر اسم الله العظيم اي انها عملت بالكنيسة ما عملت الكنيسة بها . ومن ذلك الحين الى الآن اتسم في كل يوم الفلسفة لتهم الكنيسة بالتعصب والجهل الوخيم واشياع هذه يتهمون تلك بالكفر والضلال المبين ذاهلين كلهم عن المبدإ السامي الازلي الذي وضعهُ الله في الانسان وهو : لا تمس حرية قريبك فما خلقت لتستعبد بل لتبدان

اما الامر الاخير وهو احترام ملك الغير فكل تانون يوجبهُ ويامر بهِ ويكفي اذاً بالنظر في ما لا يرد لهُ عقاب في قوانين الامم . العمل خصيصة من اسمى الفضائل التي تفتخر بها الامم الى ذرى المجد والقوة . وما يكسبهُ العامل من وراء عمله هو ملكهُ حلال لهُ اللهم اذا اتخذ اليهِ طريق الاستقامة والوسائط الشريفة المحللة وانفق في تحصيله قوة ذراعي قيمتهُ . ولكن ما القول في من يربح في البورصات في ساعة واحدة مليوناً من الفرنكات او الغروش بدون ان يستعمل راس مال غير ما لهُ من النفوذ المالي ووسائط الخداع والغش التي يطلع على الناس؟ ويحسن بنا ان لا نبدي في هذه المسالة رأياً من عندنا فنترجم بالحرف الواحد ما قالهُ الفيلسوف جول سيمون في هذا الصدد وهو :

« ان ما يربحهُ الاغنياء في البورصة من الارباح الفاحشة بلا تعب ولا تعلب مبني »
« اكثرهُ على غش الناس وخداعهم ليضاعفوا ثروتهم الطائلة بحركات مالية تستنزف اموال »

« الامة وتخرب في يوم واحد مئات من العيال والبيوت التجارية . وليس بين الوسائط الشريفة »
« المحالة ما يمكن ان يعطي الانسان مليوناً من الفرنكات الاَّ ان يكون هناك راسمال عظيم »
« يستعمله باستقامة واجتهاد او اختراع نافع يخترعه للعباد . وليس يجهل احد ما انطوت »
« عليه هذه العلق الهائلة التي تمتص دماء الشعوب وحياتهم هؤلاء الذين يدّعون الشرف »
« والاستقامة لكونهم لا يخالفون نص القانون ولكن مع معرفة الناس ذلك لا تجد بينهم من »
« يطاوعه قلبهُ على رفض اليد التي يمدونها ومعاملتهم كما يستحقون نعني معاملة اللصوص »
« والخداعين . ذلك لان الذهب كما قال فيهِ الشاعر اللاتيني جوفنال : طيب الرائحة حيثما »
كان ومن اينما خرج »

« فليهنأ اولئك السالبون بما سلبوا ولكن لتعلم الهيئة الاجتماعية ان في خفضتهم وتركها »
« مجازاتهم اهانةً للفضيلة والعمل والاجتهاد »

o

فرغنا من البحث في الواجبات السلبية الَّتي للقريب فنختم بها هذه النبذة . ولقائل لا ترى الكاتب قد احاط بجميع وجوه الموضوع فقد بقي منهُ اهمهُ واقدسهُ . قال ان من واجبات الانسان للقريب ان لا يمس كيانهُ ولا شرفهُ ولا صيتهُ ولا حريتهُ ولا ماله فعل هذه هي فقط واجبات الانسان ؟ مررت يوماً فوجدت على قارعة الطريق اعمًى يفتك برجل فسرت مهرولاً ولم اقصد لمعونة التعس مذنباً وهل قمت بما يجب عليَّ للانسانيَّة . رأيت في تيار النهر رجلاً في خطر الغرق فتجاوزتهُ أبدوغ لي ان احسب نفسي بريئاً لان يديَّ لم تمس بشيء حياة ذلك الغريق ولا شرفهُ ولا صيتهُ ولا مالهُ ولا حريتهُ الطبيعيَّة والادبيَّة . ثم في المراقص والسهرات الشتوية رأيت بين الشموع النيِّرة وصنوف الحرير وتجالي الخفيفة البشرية رجلاً لئيماً يحاول اقتناص فتاة ساذجة بجمال مكرهِ وخداعهِ واغضيت الطرف ولم انبه المسكينة حتى سقطت افلا يلحقني من ذلك مسئوليَّة

صبرًا فهذه كلها داخلة تحت الواجبات الايجابيَّة التي سيرد البحث فيها فيما يلي ان شاء الله

الكهربائيَّة في اميركا

تقدَّر قيمة الآلات الكهربائيَّة الَّتي يتولد منها النور الكهربائي في اميركا بمئة مليون ريال وقيمة السلك الكهربائيَّة بسبع مئة مليون ريال وتبلغ الاموال الَّتي انفقتها شركات النور الكهربائي والسكك الكهربائيَّة الفاً وخمس مئة مليون ريال